

روح المعاني

قصارى ما في الحديث الأول على تقدير ثبوته إثبات أنها عالمه إلى حيث يؤخذ منها ثلثا الدين وهذا لا يدل على نفي العلم المماثل لعلمها عن بضته عليه الصلاة والسلام ولعلمه صلى الله عليه وسلم أنها لا تبقى بعده زمنا معتدا به يمكن أخذ الدين منها فيه لم يقل فيها ذلك ولو علم لربما قال : خذوا كل دينكم عن الزهراء وعدم هذا القول في حق من دل العقل والنقل على علمه لا يدل على مفضوليته وإلا لكانت عائشة افضل من أبيها رضي الله تعالى عنه لأنه لم يرو عنه في الدين إلا قليل لقله لبثه وكثرة غائلته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن قوله E : إني تركت فيكم الثقلين كتاب الله تعالى وعترتي لا يفترقان حتى يردا على الحوض يقوم مقام ذلك الخبر وزيادة كما لا يخفى كيف لا وفاطمة رضي الله تعالى عنها سيدة تلك العترة ! .

وأما الثاني فلأن الحديث الثاني معارض بما يدل على أفضلية غيرها رضي الله تعالى عنها عليها فقد أخرج ابن جرير عن عمار بن سعد أنه قال : قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : فضلت خديجة على نساء أمتي كما فضلت مريم على نساء العالمين بل هذا الحديث أظهر في الأفضلية وأكمل في المدح عند من انجاب عن عين بصيرته عين التعصب والتعسف لان ذلك الخبر وإن كان ظاهرا في الأفضلية لكنه قيل ولو على بعد : إن آل في النساء فيه للعهد والمراد بها الأزواج الطاهرات الموجودات حين الاخبار ولم يقل مثل ذلك في هذا الحديث . وأما ثالثا فلأن الدليل الثالث يستدعي أن يكون سائر زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من سائر الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام لأن مقامهم بلا ريب ليس كمقام صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وسلم فلو كانت الشركة في المنزل مستدعية للأفضلية لزم ذلك قطعاً ولا قائل به .

وبعد هذا كله الذي يدور في خلدي أن أفضل النساء فاطمة ثم عائشة بل لو قال قائل إن سائر بنات النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عائشة لا أرى عليه بأسا وعندي بين مريم وفاطمة توقف نظرا للأفضلية المطلقة وأما بالنظر إلى الحيثية فقد علمت ما أميل إليه وقد سئل الإمام السبكي عن هذه المسألة فقال : الذي نختاره وندين الله تعالى به أن فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم أفضل ثم أمها ثم عائشة ووافق في ذلك البلقيني وقد صح ابن العماد أن خديجة أيضا افضل من عائشة لما ثبت أنه E قال لعائشة حين قالت : قد رزقك الله تعالى خيرا منها فقال لها : لا والله ما رزقني الله تعالى خيرا منها آمنت بي حين كذبتني الناس واعطتني ما لها حين حرمني الناس وأريد هذا بأن عائشة أقرأها السلام النبي صلى

اﻻ تعالى عليه وسلم من جبريل وخديجة أقرأها السلام جبريل من ربها وبعضهم لما رأى تعارض الأدلة في هذه المسألة توقف فيها وإلى الؤقف مال القاضي ابو جعفر الاستروشنى منا وذهب ابن جماعة إلى أنه المذهب الاسلامى .

وأشكل ما فى هذا الباب حديث الثريد ولعل كثرة الأخبار التاطقة بخلافه تهون تأويله وتأويل واحد لكثرة أهون من تأويل كثير لواحد واﻻ تعالى هو الهادى إلى سواء السبيل يمرىم اقنتى لربك الظاهر انه من مقول الملائكة ايضا وصوها بالمحافظة على الصلاة بعد أن أخبروها بعلو درجتها وكمال قربها إلى اﻻ تعالى لئلا تفترو ولا تغفل عن العبادة وتكرىم النداء للإشارة إلى الاعتناء بما ىرد بعد كأنه هو المقصود بالذات وما قبله تمهيد له . والقنوت إطالة القيام فى الصلاة قاله مجاهد أو إدامة الطاعة قاله قتادة وإليه ذهب الراغب أو الاخلاص فى العبادة قاله سعيد بن جبىر أو أصل القيام فى الصلاة قاله بعضهم والتعرض لعنوان الربوبية للاشعار بعله